الفصل الثالث
إعادة بناء الدفاعات الأمريكية

«إن حربًا عالميةً بين الولايات المتحدة والجناح السياسى للأصولية الإسلامية تدور رحاها الآن، وحربًا بهذا الحجم سوف يُنظر إلى فصولها من غزو للعراق أو القبض على قادة تنظيم القاعدة باعتبارها أحداثًا تكتيكية فى سلسلة من الإجراءات والإجراءات المضادة تمتد فى المستقبل»

چيفرى بيل، الويكلى ستاندرد مارس ٢٠٠٣م

هذه مقتطفات من إحدى الأوراق البحثية التى وصفت بأنها خطة عمل للسيطرة الأمريكية على العالم، وهى بعنوان: «إعادة بناء الدفاعات الأمريكية: الاستراتيچية، القوات والمصادر للقرن الجديد»، والتى أعدّها معهد مشروع القرن الأمريكى الجديد. وقد سبقها خطاب وجّهه القائمون على المشروع للرئيس الأمريكى آنذاك «بيل كلينتون» فى عام١٩٩٧م. ويعد الخطاب والورقة بمثابة خطة العمل التى تنتهجها الإدارة الحالية فيما يتعلق بسياسات الدفاع والشئون الخارجية. ووفقًا لوليام كريستول مدير المشروع، فإن روح الخطة تنبع من مبادئ الحقبة الريجانية: **أمريكا قوية، سياسة خارجية تقوم على أساس أخلاقى، تدافع عن الأمن الأمريكى والمصالح الأمريكية، وفهم أن القيادة الأمريكية هى المفتاح الرئيسى ليس لاستقرار العالم فحسب، وإنما من أجل أى أمل فى نشر الديموقراطية والحرية فى العالم**. و تنص خطة المبادئ المؤسسة للمشروع على النقاط التالية:

«إن السياسة الخارجية والدفاعية تسير باتجاه منحرف. لقد انتقد المحافظون السياسات غير المتسقة لإدارة الرئيس كلينتون، وقد أبدوا مقاومة ضد التوجهات الانعزالية التى نشأت من بين ظهرانيهم، كما أن المحافظين لم يكونوا واثقين فى

تقديم رؤية استراتيجية حول دور أمريكا فى العالم، ولم يقترحوا أية مبادئ إرشادية لسياسة أمريكا الخارجية، وقد أتاحوا للخلافات أن تحجب إمكانيات الاتفاق حول الأهداف الاستراتيجية. كما أنهم لم يسعوا فى سبيل تقديم ميزانية دفاعية من شأنها أن تحفظ الأمن الأمريكى وتدعم المصالح الأمريكية فى القرن الجديد.

ونحن نسعى لتغيير هذا الأمر. نحن نهدف لأن نعرض قضيتنا ولأن نحشد التأييد للسيطرة الأمريكية على العالم.

وبينما قارب القرن العشرون على الانتهاء، فإن الولايات المتحدة تعد القوة العالمية الوحيدة؛ حيث قادت الغرب إلى نصر خلال الحرب الباردة، فإن أمريكا تواجه تحديًا، كما أن لديها فرصة قائمة: فهل تمتلك الولايات المتحدة الرؤية لتستفيد من الإنجازات التى حققتها فى الحقب الماضية ؟وهل لدى الولايات المتحدة العزم والتصميم لتشكل قرنًا جديداً يناسب المصالح والمبادئ الأمريكية؟

نحن نواجه خطر إضاعة هذه الفرصة، وعدم مجابهة التحدى، ونحن الآن نتعايش على الانتصارات العسكرية وإنجازات السياسة الخارجية، والتى أسست لها الإدارات السابقة. إن تقليل اهتمامنا بالشئون الخارجية واقتطاع النفقات وعدم إيلاء اهتمام لأدوات صناعة الدولة وعدم ثبات القيادة، كلها أمور تجعل من الصعوبة بمكان استمرارية النفوذ الأمريكى حول العالم. والوعد بمنافع مالية قصيرة المدى قد يكون له الغلبة على اعتبارات استراتيجية. وبالتالى فإننا نعرض قدرة أمتنا على مواجهة التهديدات والتعامل مع التحديات القوية التى بانتظارنا، نعرضها لخطر شديد.

ويبدو أننا تناسينا العناصر الأساسية لنجاح إدارة الرئيس«رونالد ريجان»: جيشًا قويّا وعلى جهوزية تامة لمواجهة التحديات الحالية والمستقبلية، وسياسة خارجية تدعم بجرأة المبادئ الأمريكية فى الخارج، وكذا قيادة قومية تقبل على مسئوليات الولايات المتحدة العالمية.

بطبيعة الحال يجب أن تكون الولايات المتحدة حذرة فى استخدامها للقوة، ولكن هى ليست فى حل لأن تتجاهل المسئوليات للسيطرة على

العالم، أو التكاليف المرتبطة بممارسة القوة تلك. إن الولايات المتحدة تمتلك دوراً حيويّا فى الحفاظ على السلام والأمن فى أوروبا والشرق الأوسط وآسيا، وإذا تنصلنا من مسئوليتنا فكأننا بذلك نفتح الباب أمام التحديات لتواجه مصالحنا الأساسية. إن تاريخ القرن العشرين علّمنا أنه من المهم بمكان أن نقوم بصياغة الظروف قبل حدوث الأزمات؛ وذلك لكى نواجه التهديدات قبل أن تصبح شديدة أو قاهرة. إن تاريخ هذا القرن كان يجب أن يعلّمنا أن نعتنق مبدأ وقضية السيطرة الأمريكية (القيادة).

إن هدفنا هو أن نذكّر الأمريكيين بهذه الدروس وأن نستخلص النتائج اليوم وها هى أربع نتائج:

* علينا أن نزيد النفقات الدفاعية بشكل مهم إذا ما أردنا أن نقوم بتنفيذ مسئوليتنا العالمية وتحديث قواتنا المسلحة للمستقبل.

* نحن بحاجة لتقوية روابطنا مع حلفائنا الديموقراطيين، ونتحدى تلك النظم المعادية لمصالحنا أو لقيمنا.

* نحن بحاجة لتدعيم مبادئ الحرية السياسية والاقتصادية بالخارج.

* نحن بحاجة لقبول مسئوليتنا لدور أمريكا المتميز فى الحفاظ على وامتداد نظام عالمى يتناسب مع أمننا ورخائنا ومبادئنا.

هذه السياسات الريجانية التى تشمل القوة العسكرية والوضوح الأخلاقى، قد لا تكون أمراً رائجًا هذه الأيام، ولكنها ضرورية إذا أرادت الولايات المتحدة أن تبنى على النجاحات التى حققتها خلال هذا القرن وأن تؤمن أمننا وعظمتنا فى القرن القادم.

٣ يونيو ١٩٩٧م.

الموقعون:

«إليوت إبرامز»، «جارى باور»، «ويليام بينيت»، «جيب بوش»، «ديك تشينى»، «إليوت كوهين»، «ميدج ديكتر فوربس»، «باولادوبريانسكى»، «آرون

فريدبرج»، «فرانسيس فوكوياما»، «فرانك جافنى»، «دونالد كاجان»، «زلماى خليل زادة»، «لويس ليبى»، «نورمان بودهورتز»، «دان كويل»، «بيتر رودمان»، «ستيفان روزن»، «هنرى رو»، «دونالد رامسفيلد»، «فين ويبر»، «پول ولفوفيتز».

نص الخطة

«إن مشروع القرن الأمريكى مهموم بالضعف الذى أصاب قوة أمريكا الدفاعية وبالمشاكل التى يمكن أن تنتج عن ذلك بالنسبة لدور أمريكا القيادى فى العالم وبالتالى للحفاظ على السلام . إن مشاعر القلق تلك قد زادت؛ بسبب نتائج دراستين أقرهما الكونجرس حول السياسات الدفاعية، وهما « نشرة الپنتاجون الدفاعية» الربع سنوية التى صدرت فى مايو ١٩٩٧م، و«تقرير لجنة الدفاع القومى» فى ديسمبر ١٩٩٧م، فكلتا الدراستين افترضت أن ميزانيات الدفاع ستظل كما هى أو ستستمر فى الانخفاض؛ ونتيجة لذلك فإن توصيات خطط الدفاع والتى تم الإشارة إليها فى التقريرين كُتبت مع الأخذ فى الاعتبار القيود المفروضة على الميزانية؛ ذلك أن نشرة الپنتاجون الدفاعية ركزت على المتطلبات الدفاعية الحالية على حساب الاحتياجات الدفاعية المستقبلية، بينما يعطى التقرير الثانى أولوية للاحتياجات المستقبلية بالتقليل من المسئوليات الدفاعية الآنية. ورغم أن التقريرين اقترحا سياسات مختلفة فكلاهما تقاسم شيئًا مشتركًا: الفجوة بين المصادر والاستراتيچية لا بد من إيجاد حل لها، ليس بواسطة زيادة المصادر وإنما من خلال تغيير الاستراتيچية. إن القوات المسلحة الأمريكية بإمكانها إما أن تستعد للمستقبل من خلال التقهقر عن ممارسة دورها كمدافع أساسى للنظام الأمنى العالمى، أو بإمكانها أن تهتم بالشئون الحالية، ولكن فى مقابل ألا تكون جاهزة لمواجهة الأخطار المستقبلية وساحات المعارك المستقبلية.

إن كلا الأمرين يبدو أمرًا قصير النظر؛ ذلك أن الولايات المتحدة هى القوة الكبرى الوحيدة فى العالم التى تجمع بين القوة العسكرية الخارقة والسيطرة التكنولوچية العالمية، وأكبر اقتصاد فى العالم. بالإضافة إلى ذلك فإن الولايات المتحدة تقف على رأس نظام من التحالفات يشمل القوى الديموقراطية الأخرى فى العالم . فى الوقت الحالى لا تواجه الولايات المتحدة أية قوة منافسة أخرى، واستراتيچيتها الكبرى لا بد أن تهدف إلى الحفاظ على امتداد هذا الموقع المميز فى

المستقبل لأطول فترة ممكنة. وهناك ـ على الرغم من ذلك ـ بعض الدول القوية التى لن ترضى بهذا الوضع وستعمل على تغييره كلما استطاعت، وفى اتجاهات قد تشكل خطورة على الظروف السلمية والحرة التى يتمتع بها العالم اليوم. وحتى اليوم كان يتم ردع هذه القوى من الإتيان بتلك الأفعال التى من شأنها أن تخل بالتوازن الحالى؛ بسبب الإمكانيات والحضور العالمى للقوة العسكرية الأمريكية، ولكن مع تدهور هذه القوة بشكل نسبى، فإن الظروف الجيدة التى وفرتها سوف تتعرض للخطورة. إذن الحفاظ على هذا الوضع الاستراتيچى المرغوب فيه، والذى تجد فيه الولايات المتحدة نفسها، يتطلب إمكانيات عسكرية خارقة على المستوى العالمى فى الظروف الآنية والمستقبلية. غير أن أعوامًا من خفض النفقات الدفاعية أدت إلى تآكل الجهوزية الدفاعية للجيش الأمريكى، وعرضت للخطر خطط الپنتاجون للحفاظ على التفوق العسكرى فى السنوات اللاحقة. وبشكل متزايد فإن الجيش الأمريكى وجد نفسه غير مجهز ومتدرب ومجهد لأن يتعامل مع خطة الطوارئ، وغير مجهز لأن يتكيف مع الثورة فى الشئون العسكرية وبدون سياسة دفاعية وزيادة مناسبة للنفقات الدفاعية فإن الولايات المتحدة تضيّع على نفسها فرصة استراتيچية غير عادية.

إذا أخذنا إذن هذه الأمور فى الاعتبار فإننا بدأنا مشروعًا فى ربيع ١٩٩٨م لبحث الخطط الدفاعية للولايات المتحدة ومتطلبات الموارد، وقد بدأنا من فرضية أن القدرات العسكرية الأمريكية لا بد أن تكون كافية لدعم الاستراتيچية الأمريكية الكبرى؛ وذلك للاستفادة من هذه الفرصة غير المسبوقة. ونحن لم نقبل القيود السابقة التى نتجت عن هذه الافتراضات حول إذا ما كانت البلد قد أو قد لا تكون لديها النية للإنفاق على دفاعاتها.

استفاد هذا المشروع من الاستراتيچية الدفاعية التى خطط لها قسم الدفاع التابع لـ «ديك تشينى» فى الأيام الأخيرة لإدارة الرئيس «چورچ بوش الأب». وقد كانت الخطة بعنوان: «إرشادات السياسات الدفاعية» والتى خُطت فى الشهور الأولى لعام ١٩٩٢م وقدمت خطة عمل للحفاظ على الهيبة الأمريكية للحئول دون بزوغ قوة منافسة أخرى؛ لتصيغ النظام الأمنى العالمى وفق المبادئ والمصالح الأمريكية.

وقد تسربت هذه الوثيقة قبل أن يتم الموافقة عليها رسميّا؛ مما أدى لتعرضها للانتقاد الشديد باعتبارها مجهوداً يقوم به «محاربون باردون» يريدون زيادة النفقات الدفاعية رغم انهيار الاتحاد السوفييتى، ولم يكن أمراً مفاجئًا أن يتم دفن هذه الخطة مع مجىء الإدارة الجديدة (إدارة الرئيس كلينتون).

ورغم أن تجربة السنين الثمانى الماضية قد طورت من فهمنا المتعلق بالاحتياجات العسكرية لتنفيذ هذه الاستراتيچية، فإن الأسس التى تقوم عليها خطة تشينى وفريق وزارة الدفاع ما زالت برأينا ذات أساس سليم، وما قاله تشينى آنذاك ردّا على منتقديه يظل يحمل طابع الحقيقة حتى اليوم: «بإمكاننا إما أن نظل ننمى القوات المسلحة التى تلزمنا ونظل محتفظين بموقعنا للمساعدة فى صياغة الأمور للأفضل، أو بإمكاننا أن نلقى بهذه الميزة بعيداً. ولكن ذلك من شأنه أن يعجل بمجىء اليوم الذى سنواجه فيه أخطاراً أكثر تهديداً وبتكلفة أعلى ومخاطر أكبر على حياة الأمريكيين».

إن الظروف الجديدة تجعلنا نعتقد بأنه ربما يكون هناك جمهور أكثر قبولاً لآرائنا من السنين الماضية، ولأول مرة منذ أواخر الستينيات يكون هناك فائض فى ميزانية الحكومة الفيدرالية، وخلال التسعينيات اهتم الكونجرس والبيت الأبيض بإيلاء أولوية كبرى لتحقيق التوازن فى الميزانية الفيدرالية أكثر من اهتمامهما بتمويل الأمن القومى. فى الواقع فإن الميزانية، وبدرجة كبيرة، تمت موازنتها بواسطة عدد من الإجراءات وهى زيادة عوائد الضرائب مع خفض النفقات الدفاعية، ولكن الفائض المتوقع لعوائد الحكومة الفيدرالية خلال الحقبة القادمة يزيل الحاجة لتخفيض النفقات الدفاعية كما كان التوقع.

كما أن الرأى العام الأمريكى والنواب المنتخبين أصبحوا على دراية تامة بالحالة المتدهورة للجيش الأمريكى.

إن عالم ما بعد الحرب الباردة لن يظل مكانًا يظلله السلام إذا ما استمر تجاهلنا للشئون العسكرية والشئون الخارجية، ولكن الاهتمام الجاد والتفكير الجيد والرغبة فى توجيه موارد كافية لقوة الجيش الأمريكى يمكن أن تجعل العالم أكثر أمنًا وتؤمن المصالح الاستراتيچية الأمريكية فى الوقت الآنى وفى المستقبل.

لماذا المطالبة بمراجعة أخرى للسياسات الدفاعية؟

بعد تحقيق نصرين عسكريين خلال القرن الماضى وحربين عالميتين، الحرب الباردة وحرب الخليج، فإن الولايات المتحدة تجد نفسها القائد القوى لتحالف من الدول الديموقراطية الغنية وهى لا تواجه أى تحدّ مباشر من أى قوة عظمى أخرى.

وعصر السلام الأمريكى قد أثبت أنه سلمى ومستقر ودائم، ولكنه خلال الحقبة الماضية، قد أمدنا بالإطار الچيوسياسى لنمو اقتصادى واسع وانتشار القيم الأمريكية مثل الحرية والديموقراطية. غير أنه لا توجد لحظة فى السياسات الدولية يمكن أن تظل بلا تغيير، حتى السلام الأمريكى العالمى لن يستطيع أن يحافظ على ذاته.

وبينما القوة والنفوذ الأمريكى فى قمتهما، فإن القوات العسكرية الأمريكية تعانى من أعراض الإجهاد وعدم القدرة على مواجهة المتطلبات العديدة للمهام المختلفة، ولا سيما الجهوزية للتعامل مع معركة الغد.

إن القوات الموجودة حاليًا والتى تم تخفيضها إلى الثلث أو أقل على مدى العقد الماضى، تعانى من عدم جهوزية للمعارك ومن صعوبات فى عملية التجنيد والاحتفاظ بعدد كاف من الجنود والبحارة والطيارين والمارينز، ومن تأثيرات «إجازة طويلة»؛ مما أدى إلى «تكهن» العديد من النظم الدفاعية، وتعانى كذلك من قاعدة صناعية متضائلة وغير مؤهلة لتكون «ترسانة الديموقراطية» للقرن الواحد والعشرين، وتعانى كذلك من نقص الاختراعات؛ مما يهدد التميز التكنولوچى والعملى الذى تتمتع به القوات الأمريكية لجيل، والذى تعتمد عليه الاستراتيچية الأمريكية بالأساس، وأخيرًا فإن الأمر الأكثر خطورة هو النسيج الاجتماعى للجيش حيث هو متآكل. إن القوات المسلحة الأمريكية تعانى من مستوى معيشى متدهور منفصل عن توقعات الطبقة المتوسطة والتى تعتمد عليها قوات المتطوعين. فالرجال والنساء وصغار الضباط تتناقص ثقتهم فى مرءوسيهم من كبار الضباط، وهم يعلمون أن هؤلاء الضباط لن يخبروا قادتهم المدنيين بالحقائق الكريهة. باختصار بينما يمتد السلام الأمريكى عبر الكون فإن القوة التى تحافظ عليه تكاد تغرق من فرط المهام الملقاة على عاتقها.

لا يوجد تناقض فى ذلك حيث إنه من النتائج الحتمية للفشل فى أن توازى الوسائل العسكرية الغايات الچيوسياسية. ومن الأمور المتضمنة فى فشل التقارير والمراجعات الاستراتيچية والدفاعية خلال الحقبة الماضية هى فكرة أن انهيار الاتحاد السوڤييتى قد أدى إلى خلق «وقفة استراتيچية»، بمعنى آخر فحتى ظهور قوة تحدّ جديدة فإن الولايات المتحدة سوف تتمتع بمهلة وفترة راحة من متطلبات الزعامة العالمية. ومثل المصارع فى جولات البطولة، فإن الولايات المتحدة بإمكانها أن تستريح وتحيا الحياة الجيدة واثقة من أنه سيكون هناك وقت كاف للاستعداد للتحدى الأكبر القادم، وبالتالى يمكن للولايات المتحدة أن تخفض من عدد القوات العسكرية، وتغلق القواعد العسكرية فيما وراء البحار، وتوقف برامج التسلح الكبرى، وتجنى المكاسب المالية أو «مكاسب السلام»، ولكن كما رأينا فى الحقبة السابقة، فإن العديد من القوى الدولية لم تعدم السبيل لتستفيد من فرصة سقوط الإمبراطورية السوڤييتية لتوسع من نفوذها وتتحدى النظام الأمنى الذى تقوده أمريكا.

إن استراتيچية الاحتواء الأمريكية لم تنطلق من فرضية أن الحرب الباردة سوف تكون فقط عبارة عن مواجهة عسكرية يواجه فيها الجيشُ الأمريكىُّ الجيشَ الأحمرَ دبابة بدبابة، بل إن الولايات المتحدة كانت تعمل على ردع السوڤييت عسكريّا بينما تعمل على هزيمتهم اقتصاديّا وأيديولوچيّا بمرور الوقت. كما أن مهمة الناتو الرئيسية كانت ردعًا لأى غزو لأوروپا الغربية، وليس غزو و احتلال الأراضى الروسية. بالإضافة لذلك فإن توازن الرعب النووى جعل كلاً من الولايات المتحدة والاتحاد السوڤييتى يتعامل بحذر، فمن وراء أصغر الحروب التى تدار بالتبعية كان احتمال حدوث «الأرماجادون» قائمًا فى الخلفية. وبالتالى رغم إساءة الحسابات خلال العقود الخمسة من الحرب الباردة، فإن الولايات المتحدة حظيت بقدر غير عادى من الأمن والاستقرار العالميين، فقط من خلال بناء ترسانة نووية غير باهظة التكاليف.

	الحرب الباردة	القرن الواحد والعشرون
النظام العالمى	ثنائى القطبية .	أحادى القطبية .
النظام الأمنى .	احتواء الاتحاد السوفييتى .	الحفاظ على السلام الأمريكى .
الهدف الاستراتيچى .	ردع التوسع السوفييتى .	تأمين وتوسيع مناطق السلام الديموقراطى ، ردع نشأة قوى عالمية جديدة منافسة ، الدفاع عن مناطق أساسية ، استغلال عملية تحول الحرب .
المهمة العسكرية الرئيسية .	إمكانية حدوث حرب عالمية فى أماكن مختلفة .	إمكانية وجود جبهات للحرب منتشرة عبر العالم .
التهديد العسكرى الرئيسى .	أوروبا .	شرق آسيا .

نواة التنافس الاستراتيچى

خلال حقبة ما بعد الحرب الباردة تغير كل شىء . فعالم الحرب الباردة كان ثنائى القطبية ، بينما عالم القرن الواحد والعشرين أحادى القطبية ، على الأقل حتى اللحظة الحالية ، وأمريكا هى القوة العالمية الوحيدة . وبينما كان الهدف الاستراتيچى الأمريكى هو احتواء الاتحاد السوفييتى فاليوم المهمة هى الحفاظ على بيئة أمنية عالمية تناسب المصالح والقيم الأمريكية . إن مهمة الجيش خلال الحرب الباردة كانت لردع التوسع السوفيتى ، أما اليوم فإن المهمة الأساسية هى تأمين وتوسيع «مناطق السلام الديموقراطية» لردع ظهور قوة منافسة جديدة ، والدفاع عن المناطق الرئيسية مثل أوروبا وشرق آسيا والشرق الأوسط ، والحفاظ على التفوق الأمريكى من خلال تغيير الحرب عبر التكنولوچيا الجديدة . فى أوروبا على سبيل المثال ، فإن الغالبية العظمى من وحدات القوات الجوية ما زالت متواجدة فى قواعد اختيرت خلال الحرب الباردة فى ألمانيا وانجلترا ، بينما أصبحت المشاكل الأمنية فى القارة أكثر كثافة فى جنوب شرق أوروبا ، وعمليات التدوير الطارئة للقوات إلى البلقان والأماكن الأخرى فى جنوب شرق أوروبا أدت إلى مضاعفة الأعباء . وبالمثل فإن إدارة الرئيس كلينتون واصلت تبنى الرواية القائلة بأن عمليات القوات

الأمريكية فى منطقة الخليج العربى (الفارسى) ما هى إلا واجبات مؤقتة، وبعد مرور حقبة بعد حرب الخليج فإن القوات الجوية والبحرية ما زالت تواصل حماية المصالح الأمريكية الدائمة فى المنطقة، ورغم القلق المتزايد من ظهور الصين كقوة جديدة، واحتمال اضطراب فى جنوب شرق آسيا، فإن القوات الأمريكية موجودة فقط فى قواعد فى شمال شرق آسيا.

ورغم كل تلك المشاكل التى نواجهها فى تنفيذ المهام اليوم، إلا أن البنتاجون لم يفعل أى شىء للإعداد لمستقبل يؤذن بأنه سيكون مختلفًا وأكثر خطورة. ومن الأمور الشائع فهمها الآن أن المعلومات وغيرها من الأدوات التكنولوچية المستحدثة بالإضافة إلى انتشار التكنولوچيا والأسلحة، من شأنه أن يخلق دينامية تهدد قدرة أمريكا على ممارسة نفوذها العسكرى المسيطر. والقوى المنافسة المحتملة مثل الصين تسعى لاستغلال هذه التكنولوچيا بشكل موسع، بينما أعداء مثل إيران والعراق وكوريا الشمالية يسارعون فى تطوير صواريخ باليستية وأسلحة نووية كقوة ردع للتدخل الأمريكى فى المناطق التى يسعون لبسط نفوذهم عليها. ورغم ذلك فإن وزارة الدفاع لم تفعل شيئًا سوى أن أضافت لقب «تحول» على برامج تم تطويرها خلال سنوات الحرب الباردة، وبدلاً من الاعتراف بأن التغييرات التكنولوچية المتسارعة تجعل من غير المؤكد ماهية النظم الدفاعية التى يجب تطويرها، فإن القوات المسلحة تلتزم ببرنامج ومبادئ شديدة التقليدية. وفى دراسة حديثة حول تجارب البنتاجون، ذكر «أندرو كريبينفيتش» عضو لجنة الدفاع القومى أن «للأسف فإن كلام وزارة الدفاع حول الحاجة للتغيير العسكرى يجب أن يترجم إلى حالة من دعم للموارد الأساسية، بينما فى الوقت الحالى فإن مجهودات الوزارة مشتتة وغير ممولة جيداً..».

باختصار فإن حقبة التسعينيات كانت «حقبة من الإهمال العسكرى»، وهذا الأمر بدوره يجعل الرئيس القادم للولايات المتحدة يواجه تحديًا هائلاً، فعليه أن يزيد من النفقات الدفاعية للحفاظ على الزعامة الچيوپوليتيكية لأمريكا أو أنه يجب عليه أن ينسحب من الالتزامات الأمنية التى من خلالها يُقاس موقع أمريكا كالقوى الكبرى الوحيدة فى العالم والضامن النهائى للأمن والحريات الديموقراطية والحقوق الفردية والسياسية. إن هذا الخيار سيكون من أوائل الموضوعات التى ستواجه الرئيس الجديد،

والتشريعات الجديدة تتطلب أن ترسم الإدارة الجديدة استراتيچية أمنية جديدة خلال ستة أشهر بعد تولى السلطة، بدلاً من أن تنتظر لمدة عام كامل. وبشكل أكبر فإن الرئيس الجديد يجب أن يختار إذا ما كانت «اللحظة الأحادية القطبية» على حد تعبير الكاتب «تشارلز كروثهامر» أحد أعضاء فريق المحافظين الجدد- فى وصف التفوق الأمريكى الچيوپوليتيكى الحالى سوف تمتد مع السلام والرخاء اللذين توفرهما.

إن هذه الدراسة تهدف إلى تأطير هذه الخيارات بشكل واضح، وإعادة خلق الصلة بين السياسة الخارجية الأمريكية والاستراتيچية الأمنية والتخطيط العسكرى والنفقات الدفاعية. وإذا كانت هناك ثمة وسيلة للحفاظ على السلام الأمريكى وتوسيعه، فإن ذلك يكون من خلال أسس آمنة لتفوق عسكرى أمريكى غير قابل للنقاش.

أربع مهام رئيسية

إن القيادة الأمريكية للعالم ودور الولايات المتحدة كضامن للسلام العالمى، يعتمد على أمن الوطن الأمريكى والحفاظ على توازن للقوى فى أوروپا لصالح الولايات المتحدة وكذلك فى الشرق الأوسط ومناطق إنتاج الطاقة المجاورة و شرق آسيا، وأيضًا استقرار النظام العالمى المكوّن من عدد من الدول القومية فيما يتعلق بالإرهابيين والجريمة المنظمة. إن الأهمية النسبية لهذه العناصر والأخطار التى تتهدد المصالح الأمريكية قد تنشأ وتتهاوى بمرور الوقت. أوروپا على سبيل المثال هى الآن مسالمة ومستقرة بشكل غير عادى، على الرغم من الغليان الذى حدث فى البلقان. وبالمثل فإن دول شرق آسيا تبدو وكأنها تدخل فى مرحلة من تزايد احتمال عدم الاستقرار والتنافس.

فى الخليج أحرز النفوذ والوجود الأمريكى أمنًا خارجيّا نسبيّا لحلفاء الولايات المتحدة، ولكن التوقعات المستقبلية غير واضحة. وبصفة عامة فإن الاستراتيچية الأمريكية فى العقود القادمة هى أن تسعى لتقوية الانتصارات العظيمة التى حققتها فى القرن العشرين، والتى أدت إلى أن تصبح اليابان وألمانيا ديموقراطيتين مستقرتين، فى الشرق الأوسط و تعد العدة لخلق الظروف التى تؤدى إلى نجاحات

فى القرن الواحد والعشرين سيما فى شرق آسيا، وأن أى تراجع عن هذه المتطلبات سوف يدفع لإثارة تساؤلات حول مكانة الولايات المتحدة كالقوة العالمية الأولى. إن الفشل فى تعريف استراتيجية أمنية وعسكرية عالمية ومتسقة خلال حقبة ما بعد الحرب الباردة، قد استدعى العديد من التحديات: كتلك الدول التى سعت لفرض سيطرة إقليمية تحاول اختبارحدود الأمن الأمريكى.

استراتيجية الدفاع عن الوطن (الأراضى الأمريكية): يجب على الولايات المتحدة أن تدافع عن أراضيها. خلال الحرب الباردة كان الرادع النووى هو العنصر الأساسى فى استراتيجية الدفاع عن الأراضى الأمريكية ويظل كذلك. ولكن القرن الجديد جاء بالعديد من التحديات الجديدة، وبينما يتم إعادة الحسابات فيما يتعلق بالقوة النووية، فإنه يجب على الولايات المتحدة أن تحبط كل تأثيرات انتشار الصواريخ الباليستية وأسلحة الدمار الشامل، والتى قد تسمح لدول صغيرة الحجم أن تردع أى عمل عسكرى أمريكى؛ وذلك من خلال تهديد حلفاء الولايات المتحدة بل والأراضى الأمريكية ذاتها. ومن بين كل المهام الجديد والآنية للقوات الأمريكية فإن هذا الأمر يجب أن يعطى الأولوية.

الحروب الكبيرة: ثانيًا على الولايات المتحدة أن تحتفظ بقوة عسكرية كافية قادرة على الانتشار السريع، وأن تكسب حروبًا عدة كبيرة تُشن فى وقت واحد، وأن تكون أيضًا قادرة على الرد على عمليات طارئة غير متوقعة فى مناطق قد لا يوجد فيها قوات. هذا الأمر أشبه بـ«الحربين» وهو أحد الأمور التى كانت جوهر تخطيط القوات الأمريكية خلال الحقبة الماضية. غير أن هذا الأمر يجب تحديثه لمواجهة الحقائق الجديدة والصراعات المحتمل حدوثها.

الواجبات الشرطية: ثالثًا على البنتاجون أن يحتفظ بقوات للحفاظ على السلام بطرق قادرة على أن تقوم بحملات حربية كبرى. إن الخبرة المتراكمة وسياسات إدارتين قد أوضحتا أن مثل هذه القوات لا بد أن يتم توسيعها؛ لتكون قادرة على مواجهة مهام الناتو على المدى الطويل فى البلقان ومنطقة حظر الطيران وكذلك المهام الأخرى فى جنوب شرق آسيا والمهام الأخرى فى المناطق الحيوية فى شرق آسيا. هذه المهام أو الواجبات هى مهام اللحظة الآنية الأكثر حدوثًا وتتطلب قوات

مؤهلة للقتال، ولكنها فى ذات الوقت قادرة على مهام الشرطة المستقلة على المدى الطويل.

تغيير القوات المسلحة الأمريكية: وأخيراً فإنه يجب على البنتاجون أن يبدأ الآن فى استغلال ما يسمى بـ «الثورة فى الشئون العسكرية»، والتى تحققت بفعل إدخال التكنولوچيا المتطورة فى الأنظمة العسكرية. يجب النظر لهذا الأمر على أنه مهمة منفصلة وأساسية تستحق نصيباً من القوات والميزانية الدفاعية.

إن القوات المسلحة الأمريكية تفتقر الآن إلى التجهيزات اللازمة لتنفيذ هذه المهام الأربع؛ ذلك أنه خلال الحقبة الماضية اقترحت إدارة الرئيس كلينتون تخفيضاً حاداً للقوات النووية الأمريكية بدون تحليل كاف لتوازن القوى النووية العالمى المتغير لمواجهة متطلبات تحقيق المهام الأربع، فإن الولايات المتحدة عليها أن تتبع عملية من مرحلتين: **المهمة المباشرة** هى إعادة بناء القوات اليوم والتأكد من أنها قادرة على مواجهة المهام الموكلة إليها، وعلى وجه التحديد خلق مناخ وقت السلام وكسب حروب متعددة تُشن فى وقت واحد، هذه القوات يجب أن تكون كبيرة الحجم لتنفذ هذه المهام بدون أن تعرّض نفسها لمخاطر كبيرة أو غير مقبولة. أما **المهمة الأخرى** فهى العمل بجدية لتغيير وزارة الدفاع، وهذا فى حد ذاته سيكون مهمة على مرحلتين، ويجب أن تكون مرحلة التغيير تلك خطوة أولى لتحقيق إصلاح جوهرى. وعلى مدى العقود القادمة على الولايات المتحدة أن تنشئ نظاماً من الدفاعات الصاروخية، وتخلق طرقًا للسيطرة على «الأمور المشتركة عالميّا» من الفضاء والفضاء الإلكترونى، وأن يتم بناء نوعيات من القوات التقليدية لمواجهة التحديات الاستراتيچية الجديدة والبيئة التكنولوچية المستجدة.

إن هذه الدراسة انطلقت من فرضية أن الولايات المتحدة عليها أن تسعى للحفاظ على وتدعيم مكانتها فى زعامة العالم؛ وذلك من خلال الحفاظ على تفوق قواتها العسكرية. واليوم فإن الولايات المتحدة لديها فرصة استراتيچية غير مسبوقة؛ حيث لا يجابهها أىُّ تحدّ من قبل قوى عظمى أخرى، كما أنها تتمتع بالثروة والحلفاء الديموقراطيين الأقوياء فى كل مكان من العالم، وهى فى منتصف الطريق نحو أطول عملية توسع اقتصادية فى التاريخ، كما أن قيمها الاقتصادية والسياسية

أصبحت قيمًا يعتنقها العالم بأجمعه، ولم يكن النظام الأمنى العالمى فى أية مرحلة تاريخية سابقة ملائمًا للمصالح والقيم الأمريكية كالمرحلة الحالية. أما التحدى فى القرن القادم فهو يتمحور حول الحفاظ على وتحسين هذا «السلام الأمريكى».

وإذا لم تقم الولايات المتحدة بتأمين قوة عسكرية كافية، فإنها بذلك تضيّع الفرصة السانحة، وفى الحقيقة فإنه خلال الحقبة الماضية كان فشل الولايات المتحدة فى التأسيس لاستراتيچية أمنية تستجيب للحقائق الجديدة وتزودنا بالموارد المناسبة لكافة المهام المطلوبة لتمارس الولايات المتحدة قيادتها للعالم، قد أدى لتعريض السلام الأمريكى لمخاطر متزايدة. وهذا التقرير لم يكن سوى محاولة للتعريف على هذه المتطلبات.

دونالد كاجان، جارى شميت

توماس دونيلى

* * *

obeikan.com